شاعرنا توفيق زياد لا يلهو ، يقاتل بشخصه ، ويقاتل بشعره . فالشعر سكين يحمي صخور حطين . واذا ربطنا الكلمات : شعر ، سكين ، حطين . لمسنا مباشرة مكان الشاعر وحقل قضيته ، قضية الشعب المناضل .

يمور الشاعر بين وطنه وشعبه . فهناك تكامل بين الشاعر وشعبه وبين شعره والوطن :

أجيبيني ....
انادي جرحك الملوء ملحا ، يا فلسطين
اناديه واصرخ :
ذوبيني فيه .. صبيني . (٤)

فاذا انتهى الشاعر من الفراغ المكاني الذي يتشبث فيه — الوطن — انتقل الى شعبه ليعيش مأساته ومعاناته :

يا اغلى من روحي عندي
انا .. باقون .. على العهد ... (٥)
. . . . . .
واقول : اهديكم
واهديكم ضيا عيني
ودفء القلب اعطيكم
فمأساتي التي احيا
نصيبي من مآسيكم (٦)

يمكن ان نقول اذن الاطروحة الاولى : شاعرنا شاعر قضية ، وشعره في ذلك له دور وظيفي .

أما الاطروحة الثانية : ان الشاعر في نضاله وشعره جزء من شعبه وجزء من نضال شعبه . وهذا ما يوصلنا الى الاطروحة الثالثة : ان شعر توفيق زياد شعر تحريضي ، وله دور في تحريك الشعب وتنويره ودفعه الى الصمود :

اصرخ .... اصرخ .... اصرخ
في اعجاب يزداد ويكبر :
« هذا شعب
لم يخلق
حتى يقهر » (٧)
. . . . . .
ان يحبسونا .. انهم
لن يحبسوا نار الكفاح (٨)
. . . . . .
صمودا ايها الناس الذين احبهم
صبرا على النوب (٩)

ليس الشعر هنا تذوقا جماليا محضا ، تفقد اللذة الجمالية اولويتها ، ويبنى الشعر ويشكل للتحريض ، فهو شعر هادف ذو غرض ، وتتحكم وظيفية الشعر هذه بشكل الشعر ومضمونه :

عندما نقف امام شعر توفيق زياد ، يمكن ان نقول اننا امام مقال سياسي ايديولوجي